الفصل الرابع

تدريس الفقه الإسلامي

مقدمة

يتناول هذا الفصل العديد من النقاط الفلسفية التي تعد تنظيرا أساسيا لمن يتعامل بالفقه ـ دراسة أو تدريسا ـ ومن هذه النقاط : التعريف بالفقه والفرق بينه وبين الشريعة ، وتاريخ الفقه الإسلامي ومراحله التي مر بها ، ومصادر الفقه الإسلامي ، وخصائص الفقه الإسلامي ، ومشكلات تدريس الفقه الإسلامي ، كما يتناول هذا الفصل طرق تدريس الفقه الإسلامي ، والمهارات التدريسية التخصصية اللازمة لتدريس الفقه الإسلامي ، ثم بعض النماذج التدريسية ، وفيما يلي بيان ذلك .

أولا : التعريف بالفقه الإسلامي والفرق بينه وبين مصطلح الشريعة

كلمة الفقه عند علماء اللغة تعني «الفهم للشيء والعلم به والفطنة فيه»[(١)]، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ (الإسراء:٤٤)، وتعني في اصطلاح علماء الفقه «العلم بالأحكام الشرعية ـ عبادات ومعاملات ومناكحات وجنايات ـ من أدلتها التفصيلية»[(٢)]، أما الشريعة فتعني في اللغة «ما شرع الله لعباده والظاهر المستقيم من المذاهب»[(٣)]، قال

(١) الفيروزبادي : القاموس المحيط ، ٢٨٤/٣ ، الطبعة الثالثة١٣٠١هـ .

(٢) محمد الخضراوي : المفصل في الفقه الإسلامي وتاريخه ص٤ (القاهرة ، شركة الطباعة الفنية المتحدة ١٩٦٦م).

(٣) الفيروزبادي ، القاموس المحيط ، فصل الشين ، باب العين ، ٤٢/٣، ٤٣ .

تعالى : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الجاثية:١٨) ، أي طريقة ومنهاجًا مستقيمًا من أمر الدين ، وقيل إن الشريعة هي مورد الماء الجاري الذي يُقصد للشرب ، ومنه قول العرب : شرعت الإبل إذا وردت شريعة الماء ، أما الشريعة في اصطلاح علماء الشريعة فتعني «الأحكام التي سنها الله تعالى لعباده على لسان رسول من رسله عليهم السلام»[1]، وهي بهذا المعنى تساوي كلمة «دين» ، وبإضافة لفظ شريعة للإسلام فإنها تعني : كل ما شرعه الله تعالى من أحكام على لسان نبيه محمد ﷺ ، وعلى هذا الأساس تتضمن الشريعة الإسلامية الأحكام الاعتقادية ومجالها علم التوحيد ، والأحكام الأخلاقية ومجالها علم الأخلاق ، والأحكام العملية ومجالها علم الفقه .

من هذا الطرح يتضح لنا أن هناك علاقة بين الشريعة والفقه تتمثل في أن الشريعة أعم من الفقه الذي يعتبر جزءها ، كما أن الشريعة لها أحكام ثابتة قطعية لا تتغير بتغير الزمان والمكان لأنها وحي الله تعالى ، بخلاف الفقه الذي يعكس فهمنا البشري واستنباطنا الأحكام من أدلتها التفصيلية ، فهو يتغير بتغيرنا نحن البشر زمانا ومكانا وحالا ، ويجب أن يظهر هذا التغيير إذا عرضناه في صورة فتوى أو قضاء . ورغم هذا الفرق الواضح إلا أنه قد يطلق لفظ الشريعة ويراد به الفقه ، ويكون هذا من باب المجاز حيث أطلق العام وأريد الخاص .

ثانيا : تاريخ الفقه الإسلامي

إن الفقه الإسلامي شأنه شأن أي نظام في الوجود الإنساني ، فهو لم يتكون جملة واحدة ، إنما تدرج في مراحل ، ففي عهد النبوة كان المرجع الوحيد

(١) عبد المجيد مطلوب : التعريف بالفقه الإسلامي وتاريخه (القاهرة، دار النهضة العربية، الطبعة الأولى ١٩٧٧م) ص٧ .

للصحابة في الفقه وفي كل شيء هو رسول الله ﷺ ، فمن عنت له قضية منهم أو استحدثت عليه مشكلة ردها إلى رسول الله ﷺ عملا بقول الله تعالى : ﴿ **فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا** ﴾ (النساء:٥٩) ، فإن كانوا بعيدين عنه ﷺ عرضوا عليه اجتهاداتهم ، فإن أقرها كان تشريعا وإن ردها ضُرِبَ بها عرض الحائط ، ومن اجتهاداتهم رضوان الله تعالى عليهم ما أخرجه البخاري من أن رسول الله ﷺ قال يوم الأحزاب : « لا يصلين أحد منكم العصر إلا في بني قريظة » فأدرك بعضهم العصر في الطريق ، فقال بعضهم : لا نصلي حتى نأتيها ـ أي ديار بني قريظة ـ وقال بعضهم : بل نصلي لم يرد منا ذلك ، فذُكر ذلك للنبي ﷺ فلم يعنف واحدا منهم »[1].

وبانتقال النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى ابتدأ عهد الخلفاء الراشدين ، وامتاز عهدهم باتساع رقعة الدولة الإسلامية شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ، حيث أتم الله على أيديهم فتح الشام والعراق ومصر وفارس ، وكان لكل بلد من هذه البلاد عادات وتقاليد وأعراف خاصة بهم ، لذلك واجه العرب المسلمون باختلاطهم مع أهل هذه البلاد قضايا ومشكلات في شتى شئون الحياة لم يروها من قبل ، وبرزت الحاجة ملحة إلى معرفة حكم الدين في تلك القضايا التي لم تكن موجودة على عهد رسول الله ﷺ ، وقد استوعب الفقه الإسلامي هذه القضايا وغيرها مما استُحْدِث ، فلم يقف جامدا بل ساير الدولة في تطويرها وتوسعها ، وأسعف الناس بما يحتاجون إليه من أحكام ، ولهذا كثر الاجتهاد وتشعب لتشعب الأمصار ، وتعدد الحوادث ، واختلاف الأعراف ،

(١) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب : المغازي ، باب : مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة . . ٣٨٩٣/٤ .

« وقد ساعد على ذلك هجرة كثير من الصحابة بعد عهد عمر بن الخطاب إلى البلاد والأقطار الإسلامية التي فتحها المسلمون ونزحوا إليها »[1].

وبانتهاء عهد الخلفاء الراشدين ابتدأ عهد التابعين ، وفيه دُوِّنَ الفقه الإسلامي بوصفه علما مستقلا بذاته ، وقد تأثر الفقه في هذا العهد بانقسام الفقهاء إلى قسمين ، أحدهما اكتفى باسترشاده بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وسلفه الصالح دون التعدي إلى سواهما ، وكان لهؤلاء الفضل في وضع أساس مدرسة الحديث بالمدينة المنورة ، والأخرى تعدى ذلك في مواجهة المستحدثات إلى إعمال العقل واستخدام القياس في التعرف على الأحكام الفقهية ، وكان لهؤلاء الفضل في وضع أساس مدرسة الرأي بالكوفة .

وببداية الدولة العباسية ابتدأ عهد نضوج الفقه ، إذ اتسعت رقعة الدولة الإسلامية حتى أصبحت تضم ما بين الصين وبلاد الأندلس ، وكان لهذا أثره على الفقهاء ، إذ واجهوا في البيئات الجديدة أمورا لم يألفوها من قبل ، وجرائم لم يسبق أن ارتُكِبت ، ولم يرد بشأنها نص في كتاب الله تعالى ولا سنة رسوله ولا في فتاوى الصحابة والتابعين ، وكان عليهم أن يجدوا حلولا لها ، ومن ثَمَّ استعان الفقهاء ـ في مواجهتهم للمستجدات ـ بمصادر الفقه الإسلامي ، مستندين إلى مرونته واتساعه لكل جديد في حياة الناس ، آخذين في الاعتبار أعراف الناس وعاداتهم ومصالحهم . . . ولم يكتفوا ببيان حكم الدين فيما استجد من قضايا ، إنما تعدوا ذلك إلى افتراض حوادث يندر حدوثها على أرض الواقع أو يستحيل وأظهروا حكم الدين فيها .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن فقهاء هذا العهد قد ابتكروا مناهج لم تُعْرَف من قبل ، فظهرت بذلك المصادر الفرعية للفقه الإسلامي كالعرف والاستحسان والمصلحة وعمل أهل المدينة . . .

---

(١) جاد الحق على جاد الحق : بحث في الفقه الإسلامي ، دراسات في الحضارة الإسلامية ، المجلد الثالث (القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥م) ص١٨٤.

وببداية منتصف القرن الرابع الهجري توقف الاجتهاد وظهر التقليد ، وذاع بين علماء المسلمين أن باب الاجتهاد قد أُغلق ، وبهذا ظهر التعصب الممقوت من بعض أتباع المذاهب لمذهبهم ، وهذا ما نعاه مجمع الفقه الإسلامي في دورته العاشرة على فقهاء ذلك العهد[١]، كما سلك الفقهاء في هذا العهد في التصنيف « طرقا ملتوية شاقة بعدت عن الطريقة السهلة التي عُرف بها المتقدمون فاستهواهم الولع بالإيجاز تارة ، والتطويل أخرى ، ثم الإغراق في الإيجاز مرة ثانية مع ما في ذلك من تكلف وتعقيد يجعل القارئ يسير في مسالك متعرجة ومنعطفات شائكة ومتاهات غامضة »[٢]، وهذا ما عابه ابن خلدون على مؤلفي هذا العصر حين تحدث عن مفاسد الاختصار[٣].

وفي العصر الحديث بدأت حركات إصلاحية تدعو إلى فتح باب الاجتهاد من جديد ، ومحاربة التقليد الذي انتشر في الأمة الإسلامية ، ومحاولة « الرجوع بالفقه الإسلامي إلى مصادره الأولى من الكتاب والسنة وما قام عليهما من إجماع ونحوه ، بالإضافة إلى التخلص من دراسة الكتب العلمية المعقدة التي انتشرت في العهد الماضي ، والعمل على تأليف الكتب السهلة الأسلوب ، الواضحة الفكرة ، المشتملة على لُبَابِ العلم وعلى الأدلة الصحيحة . . »[٤]، ومن ثَمَّ وُجِد من الفقهاء المعاصرين من لا يتقيد بمذهب واحد في الفتيا ، فهم يتعرضون للقضية المعاصرة محاولين استنباط أحكام لها عن طريق النظر في الأدلة من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية وفتاوى الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين ، ومحاولة الأخذ بالآراء الفقهية بعد تمحيصها .

---

(١) مجمع الفقه الإسلامي ، الدورة العاشرة ، المنعقدة بمكة المكرمة في الفترة من ٢٤-٢٨ من صفر١٤٠٨هـ .

(٢) مناع القطان : التشريع والفقه في الإسلام تاريخا ومنهجا (القاهرة ، مكتبة وهبة ١٩٨٤م) ص٤١٣ .

(٣) ابن خلدون في المقدمة .

(٤) عبد المجيد مطلوب ، التعريف بالفقه الإسلامى وتاريخه ص٥٠١ ، ٥٠٢ .

وهكذا يتضح لنا من خلال استعراض نشأة الفقه الإسلامي ومراحل تطوره مدى مسايرته واستجابته لمستجدات الحياة ومتغيراتها ، فهو لم يقف جامدا بل ساير الدولة في تطورها وأسعف الناس بما يحتاجون إليه من حلول فقهية للمشكلات التي تواجههم في كل زمان ومكان .

ثالثا : مصادر الفقه الإسلامي

يقوم الفقه الإسلامي على عدة مصادر ، بعضها أصلي ، وبعضها الآخر ثانوي ، وتتمثل المصادر الأصلية في :

١- القرآن الكريم :

وقد سبق أن تحدثنا عنه باعتباره مصدرا للتربية الدينية الإسلامية ، وقلنا بأنه كلام الله تعالى الأزلي القديم المنزل على قلب سيدنا محمد ﷺ ، المُتَعَبَّد بتلاوته ، والمُتَحَدَى بأقصر سورة منه ، والمنقول إلينا تواترا ، والمحفوظ بين دفتي المصحف الشريف ، وقد تلقاه رسول الله ﷺ عن جبريل ، كما تلقاه الصحابة عن رسول الله ﷺ ، وهكذا توارثته الأمة جيلا بعد جيل ، كتابة في المصاحف وحفظا في الصدور من غير تحريف أو تبديل ، قال تعالى : ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ** ﴾ (الحجر:٩) ، وقد اشتمل القرآن الكريم على بيان أخبار السابقين والمتأخرين ، كما اشتمل على بيان الأحكام الاعتقادية والأخلاقية والعملية . . . ، ومن جملة ما اشتمل عليه من أحكام :

أ- أحكام العبادات من صلاة وصيام وزكاة وحج .

ب ـ القواعد العامة لأحكام المعاملات من بيوع وإجارة ورهن وسَلَم وشركة وديون وربا . . . .

ج ـ أحكام الأحوال الشخصية من زواج وطلاق ورجعة ونفقة وعدة وسُكْنَى ...

د ـ أحكام الجرائم وما يترتب عليها من عقوبات وجزاءات (الحدود والتعزيرات).

هـ ـ أحكام متعلقة بالقضاء والشهادة .

و ـ أحكام متعلقة بالجهاد ـ الحروب والمعاهدات والصلح وعلاقة الأمة الإسلامية بغيرها من الأمم .

ز ـ أحكام تتعلق بالأطعمة وبيان المحلل والمحرم منها .

وقد فصل القرآن الكريم بعض هذه الأحكام ، وأجمل بعضها ذاكرا قواعدها العامة وأساسياتها التي لا تختلف باختلاف الزمان والمكان ، وترك تفصيلاتها الجزئية لمجتهدي كل عصر حتى تساير اختلاف الزمان والمكان . لهذا يعد المصدر الأساسي الأول للفقه الإسلامي .

٢- السنة النبوية المطهرة :

وقد سبق أيضا الحديث عنها في سياق الحديث عن مصادر التربية الدينية الإسلامية ، والسنة النبوية المطهرة هي أقوال النبي ﷺ وأفعاله وتقريراته ، وهي وحي ثبت بطريق الإلهام أو المنام ، قال تعالى : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ (النجم:٣-٤) ، وقد تكفل الله تعالى بحفظها ـ كما أسلفنا ـ فهي داخلة في عموم قوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ (الحجر:٩).

وتعد السنة هي المصدر الثاني للفقه الإسلامي ، وقد أمرنا الله تعالى صريحا بالأخذ بها حيث قال : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ (الحشر:٧) ، كما أمرنا بذلك صاحب السنة في قوله « ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه ، لا يوشك رجل شبعان متكئ على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن . . . . . »[1]، وهكذا تتضح الحاجة إلى السنة فهي الشارحة والمفسرة والمبينة لما أجمل في كتاب الله تعالى ، والمخصصة

(١) سبق تخريجه ص ٥٢ .

لعامه ، والمقيدة لمطلقه ، والموضحة لمشكله ، والمبينة للناسخ من المنسوخ ، والتي أتت ببعض الأحكام الزائدة والمسكوت عنها في كتاب الله تعالى . . . . ولذلك قال ﷺ : « اتبعونا فوالله إن لم تفعلوا تضلوا »[1].

٣- الإجماع :

وهو يعني اتفاق أهل الحل والعقد من أمة محمد ﷺ على حكم شرعي في عصر غير عصر الرسول ﷺ ، قال تعالى : ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا** ﴾ (النساء:١١٥) ، وسبيل المؤمنين ما يجمعون على اختياره من قول وعمل .

وهكذا وُجِد الإجماع وصار حجة شرعية منذ عهد الخلفاء الراشدين ، إذ كانت تعرض عليهم مستجدات الأمور التي لم يرد بشأنها حكم في كتاب الله تعالى ولا سنة رسوله ﷺ فيجتمعون بصددها ، وينظرون فيها ، فإذا اجتمعوا على حكم قضوا به ، أخرج البغوي عن ميمون بن مهران قال : كان أبو بكر إذا ورد عليه الخصوم نظر في كتاب الله فإن وجد فيه ما يقضي به بينهم قضى به ، وإن لم يجد في كتاب الله وعلم من رسول الله ﷺ سنة قضى بها ، فإن أعياه خرج فسأل المسلمين أتاني كذا وكذا فهل علمتم أن رسول الله ﷺ قضى في ذلك بقضاء؟ فربما اجتمع الناس عليه كلهم يذكر فيه عن رسول الله ﷺ قضاء ، فإن أعياه أن يجد فيه سنة عن رسول الله ﷺ جمع رءوس الناس وخيارهم فاستشارهم فإن أجمع رأيهم على شيء قضى به ، وكان عمر يفعل ذلك ، فإن أعياه أن يجد في القرآن والسنة نظر هل كان لأبي بكر فيه قضاء؟ فإن وجد أن أبا بكر قضى فيه بقضاء قضى به وإلا دعا رءوس الناس فإذا اجتمعوا على أمر قضى به ».

---

(١) رواه أحمد في المسند ٤/٤٢٥ .

٤- القياس :

ويعني في اللغة التقدير ، وفي الاصطلاح : هو إثبات مثل حكم معلوم في آخر لاشتراكهما في علة الحكم عند المثبت[١]، وبهذا المعنى استخدمه رسول الله ﷺ وأقر صحابته على استخدامه ولهذا عده الفقهاء من مصادر الفقه الإسلامي ، فمن استخداماته ﷺ له : « أن امرأة من بني خثعم أتته ﷺ فقالت يا رسول الله : إن فريضة الله في الحج على عباده أدركت أبي شيخا كبيرا ، لا يستطيع أن يركب ، أفأحج عنه؟ قال : نعم ، فإنه لو كان على أبيك دين قضيته »[٢].

ومن إقراره صحابته ﷺ ، إقراره معاذ بن جبل عليه حين بعثه قاضيا على اليمن ، فقال له : بم تحكم؟ قال : بكتاب الله ، قال : فإن لم تجد؟ قال : فبسنة رسول الله ، قال : فإن لم تجد؟ قال : اجتهد رأيي ، فقال النبي ﷺ الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يحبه الله ورسوله »[٣].

تلك هي مصادر الفقه الإسلامي الأساسية ، وقد أفضت جهود الفقهاء في عهد نضوج الفقه وتدوين المذاهب إلى مصادر أخرى فرعيه كالإحسان والمصالح المرسلة وعمل أهل المدينة ومراعاة العرف السائد . . . وقد اختلف فقهاء ذلك العهد حول مدى شرعية بعض هذه المصادر ، لذلك اكتفينا هنا بذكر المصادر الأساسية .

ويمكن لمنهج الفقه مراعاة هذه المصادر وربط الأحكام الفقهية بها حتى يتعود الطالب على التعامل معها ، خاصة وأنها صالحة لكل زمان ومكان ، كذلك صالحة لمواجهة أية قضية ، فرغم اشتمال القرآن والسنة على أحكام

---

(١) عبد الفتاح حسين الشيخ : ، ص١٨٥ .

(٢) رواه ابن ماجه في سننه ، كتاب : المناسك ، باب : الحج عن الحي إذا لم يستطع٢/٢٩٠٩ .

(٣) ابن كثير ، ٤/٢٠٦ .

مفصلة تصلح لكل زمان ومكان ، إلا أنهما كذلك اشتملا على قواعد عامة ومبادئ كلية تساير المستجدات في كل زمان وفي كل بيئة .

رابعا : خصائص الفقه الإسلامي

يتسم الفقه الإسلامي على مر العصور بخصائص متعددة نعرضها كما يلي :

١- أنه رباني الغاية والمنهج والمصدر : فغايته تكوين المواطن الصالح الذي يتجه إلى الله تعالى في كل أحواله ونشاطاته ، ولهذا شرعت أحكامه لتضبط حياة الفرد المسلم حتى تستقيم مع منهج الله تعالى ، وهو أيضا رباني المنهج والمصدر ، فأصول منهجه مستمدة من مصدر ربه ، القرآن والسنة .

٢- موافقة أحكامه للطبيعة الإنسانية : لقد جاءت أحكام الفقه الإسلامي موافقة لطبيعة البشر في كل زمان ومكان ، فهي لم تكبت للبشر غريزة ولم تحجب عنهم مصلحة ، وفي نفس الوقت لم تطلق لهم العنان ليشبعوا غرائزهم بالمحرمات ، إنما جاءت أحكامه وسطا لا إفراط ولا تفريط ، حيث شرع الله الزواج لينظم غريزة الجنس ، وشرع الصوم ليكبح جماح النفس . . . كذلك حرم الزنا والسرقة والقتل . . . ليحافظ على البشر ، ويحقق مصالحهم الفردية والاجتماعية ، ويحول دون فساد حياتهم ، كما شرع الحدود ليحدث بها الانزجار عما يتضرر منه البشر ، وبذلك يتحقق الأمن والأمان لهم .

٣- أن أحكام الفقه الإسلامي جاءت عامة وشاملة لكل زمان ومكان ، فهي ليست محددة بعصر معين أو جيل معين أو طبقة معينة ، كذلك جاءت شاملة للإنسان في جميع مراحل حياته ، حيث إن هناك أحكاما خاصة بالجنين ، وأخرى بالرضيع ، وثالثة بالإنسان في صباه أو شبابه أو كهولته ، كما أن هناك أحكاما خاصة بالإنسان بعد وفاته ، كذلك جاءت أحكامه

شاملة لكل سلوكيات الإنسان وعلاقته مع ربه ، مع نفسه ، مع أهل بيته ، مع مجتمعه .

٤- أنه واقعي الأحكام : فأحكام الفقه الإسلامي تراعي دائما الإنسان من حيث هو جسم وروح ، كذلك تراعي واقع الحياة التي يعيشها ذلك الإنسان من حيث هي مرحلة حافلة بالخير والشر ، وفيما يلي عرض لأبرز مظاهر الواقعية في مجال الحلال والحرام[١]:

- إن شريعة الإسلام لم تحرم شيئا يحتاج إليه الإنسان في واقع حياته ، كما لم تبح له شيئا يضره في الواقع .
- أنها راعت فطرة البشر في الميل إلى اللهو والترويح عن النفس ، فرخصت في أنواع اللهو كالسباق وألعاب الفروسية وغيرها، إذا لم تقترن بقمار ولا بحرام، ولم تصد عن ذكر الله وعن الصلاة ، وخصوصا في المناسبات السارة كالأعراس والأعياد وغيرها .
- ومن واقعية الفقه الإسلامي أنه سد الباب أمام المحرمات ، قليلها وكثيرها كما في الخمر لأن القليل يؤدي إلى الكثير ، كما عد ما يوصل إلى الحرام حراما سدا للذريعة .
- ومن واقعيته أنه راعى قوة الدوافع الجنسية لدى الإنسان ومن ثَمَّ كان تشريع الزواج إشباعا لهذه الدوافع بطريقة نظيفة تضمن بقاء الإنسان وكرامته .
- ومن الواقعية في الجانب الاجتماعي والاقتصادي : الاعتراف بالدافع الفطري الواقعي الأصيل في نفس الإنسان - واقع حب التملك - لذلك أقرت الشريعة مبدأ الملكية الفردية وما يترتب عليه من حق التصرف في الملك وحق الإرث له ، كما لم تنس واقع مصلحة الفرد وحقوقه وحاجات الفئات الضعيفة من أبنائه .

---

(١) يوسف القرضاوي : الخصائص العامة للإسلام (القاهرة ، مكتبة وهبة ١٩٧٧م) ص ص ١٦٠-١٦٦.

ـ ومن الواقعية : العمل بكل قوة على تطهير المجتمع من أسباب الجريمة .

٥- جمعه بين الثبات والمرونة : إن من خصائص الفقه الإسلامي جمعه بين الثبات الذي يعني قطعية الأحكام وصلاحيتها لكل زمان ومكان ، والمرونة التي تعني اتساعه ليشمل حاجات العصور وتغيرات الحياة المتجددة ، وعلى هذا يشمل الفقه الإسلامي أحكاما ثابتة ومفصلة كأحكام العبادات ، وأحكام الزواج ، والطلاق ، والمواريث ، وحل البيع ، وحرمة الربا ، وكتابة الدَّيْن المؤجل ، ومشروعية المضاربة . . . كما يشمل أحكاما وضعت لها قواعد عامة ومبادئ كلية ، وتركت تفصيلات هذه الأحكام ، مراعاة للأزمان والبيئات المختلفة وتحقيقا لمصالح الناس .

خامسا : مشكلات تدريس الفقه الإسلامي

يواجه تدريس الفقه الإسلامي في مختلف الدول الإسلامية العديد من المشكلات ، بعضها يرتبط بالمنهج واختيار تنظيم محتواه ، وبعضها يرتبط بطرق التدريس ، وبعضها يرتبط بإعداد المعلم . . . وفيما يلي بيان ذلك :

١- أن مناهج الفقه في معظم الدول الإسلامية لم يجر عليها أي تحقيق أو تطوير لتصبح مرنة تتسع لحاجات العصر المتجددة .

٢- أن مناهج الفقه في مختلف الدول الإسلامية افتقدت عنصر الحداثة في بنائها ، فهي ما زالت في موضوعاتها تتعرض للكثير من القضايا الفقهية بأسلوب ومحتوى لا يتفقان مع طبيعة العصر الذي يعيشه الطلاب ، ومن ذلك افتقادها للموضوعات التي تهم الشعوب الإسلامية الناطقة بغير العربية ، وموضوعات تهم الأقليات الإسلامية وخلافه .

٣- أن مناهج الفقه عرضت عرضا يناسب الكبار من الدارسين ذوي العقول الناضجة ، حيث ابتدأ العرض بالتعريف ، وجعل التعريف موجزا أشد

الإيجاز مشتملا على مصطلحات فقهية في غاية الدقة ، وهذا يتنافى مع طبيعة الناطقين بغير العربية الذين يتطلبون بساطة في الأسلوب ، وقلة في الألفاظ ، فضلا عن انتقاء الألفاظ الشائعة الاستعمال . . . إلخ .

٤- استخدام وحدات قياس ووزن وكيل قديمة كالوسق والصاع والقدح والمد والكيلة والويبة والمثقال والأوقية والميل ، وهذه الأدوات يصعب على المتعلم الناطق بالعربية معرفتها ، فما بالك بالناطق بغير العربية ، ومن ثَمَّ ينبغي ترجمتها إلى أدوات حديثة لها وجود في واقع المتعلمين المعيش .

سادسا : من طرق تدريس الفقه الإسلامي

تتعدد طرق التدريس وتتنوع إلى الدرجة التي قيل معها بأنها تكاد تتعدد بتعدد المعلمين أنفسهم ، وينبغي أن نقرر هنا بأنه ليست هناك طريقة أفضل من أختها ، ولا ينبغي أن تقارن طريقة بأخرى إلا في ضوء عدة أمور منها أهداف المقرر ، وطبيعة التلاميذ ، والإمكانات المتاحة . . . ومن ثَمَّ يمكن القول بأن هذه الطريقة تعطي نتائج إيجابية أفضل في ظل توافر ظروف كذا وكذا وكذا . وفيما يلي بعض الطرق التي يمكن للمعلم اتباعها :

١- طريقة حل المشكلات :

لما كان الفقه الإسلامي هو عبارة عن حلول لمشكلات واجهت أسلافنا في زمانهم بالإضافة إلى توضيح شريعة الله فيما يتعلق بالعبادات أو المعاملات أو غيرها من بقية أبواب الفقه ، فإننا نقترح بأن تكون طريقة حل المشكلات هي إحدى الطرق التي يستخدمها المعلم في شرح دروس الفقه ، وتتطلب هذه الطريقة من المعلم سلوكا ينظم به المفاهيم والقواعد التي سبق أن تعلمها الطالب بطريقة تساعد على تطبيقها في المواقف الجديدة ، فهو يربط بين ما تعلمه الطالب من خبرات سابقة تتمثل في النصوص القرآنية والأحاديث النبوية وما درسه من قواعد فقهية ومناهج في كيفية استنباط الأحكام ، وبين

ما يواجهه اليوم من مشكلات تحتاج إلى حلول فقهية مناسبة ومتسقة مع روح الشريعة .

والمعلم تجاه استخدامه لطريقة حل المشكلات في المعرفة الفقهية يقسم كل درس إلى عدة أجزاء ، وكل جزء يجعله مشكلة تحتاج لحل ، وهكذا عن طريق مجموعة من الأسئلة يطرحها على تلاميذه يستخلص الإجابة الصحيحة من بين إجابات التلاميذ ويقوم بسجيلها على السبورة ، ثم يطبق هذه المعرفة ، ثم يقوم تلاميذه ، فيشخص الضعف ويعالجه بأنشطة علاجية ، في الوقت الذي يعطي فيه للأذكياء أنشطة مصاحبة كجمع بيانات عن موضوع معين .

ويمكن تلخيص إجراءات هذه الطريقة فيما يلي :

- يقوم المعلم بخطوات تمهيدية يشعر التلاميذ خلالها بوجود مشكلة معينة تحتاج إلى حل .
- يمهد المعلم لدرسه باستشعار تلاميذه بوجود مشكلة .
- يحدد المعلم مع تلاميذه المشكلة تحديدًا دقيقًا .
- يكلف المعلم تلاميذه باقتراح حلول لهذه المشكلة .
- يدون المعلم الحلول المقترحة على السبورة .
- يناقش المعلم تلاميذه في الحلول المقترحة للوصول إلى الحل الصحيح .
- يؤكد المعلم على الحل الصحيح ، ويحثهم على تعميمه على المشكلة والمشاكل المشابهة .

مثال تطبيقي : إذا كان المعلم سيدرس موضوع « نواقض الوضوء ، أو موضوع المسح على الجبيرة» فإنه يمكنه اتباع الإجراءات التالية :

١- طرح القصة التالية ليشعر التلاميذ من خلالها بوجود مشكلة ما : « توضأ محمد وتجهز ليصحب والده إلى المسجد لأداء صلاة المغرب ، وفي الطريق تعثر محمد في حجر فوقع على الأرض فجرح في يده ، وسال منه

دم كثير ، فماذا يفعل؟» . إذًا تكمن مشكلة الدرس في السؤال التالي : ماذا يفعل المتوضئ إذا جرح وسال الدم منه؟؟ .

٢- على المعلم استقبال إجابات التلاميذ وكتابتها على السبورة ، ونتوقع أن تكون الإجابات كما يلي :

أ- يربط محمد يده ويذهب إلى المسجد مع والده للصلاة .

ب ـ يرجع محمد إلى المنزل ليعالج يده المجروحة ، ثم يصلى بعد شفائها .

ج ـ يغسل محمد الدم بالماء ثم يصلي .

د ـ يربط محمد على جرحه ثم يتوضأ من جديد ، ويمسح على الرباط ، ثم يصلي .

٣- يناقش المعلم تلاميذه في الحلول المطروحة ، ليصل بهم إلى الحل الصحيح وهو « يربط محمد على جرحه ويتوضأ مرة أخرى ثم يصلي» لأن الدم من نواقض الوضوء ، فلا يصح أن يصلي والدم يسيل منه ، كما لا يجوز أن يصلي بعد ربط جرحه دون أن يتوضأ ثانية ، كما لا يجوز أن يؤخر الصلاة لأن الله تعالى قال في كتابه ﴿ **إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا** ﴾ (النساء:١٠٣) .

٢- طريقة العروض العملية :

من أساليب التدريس التي اهتمت بها التربية الدينية الإسلامية أسلوب العرض العملي أو ما يسميه البعض بطريقة النموذج والممارسة العملية ، ولعل السر في اهتمامها بهذه الطريقة استخدام الرسول ﷺ لها كثيرا ، ولقد سبق أن أشرنا في موضع غير هذا إلى استخدامه الأسلوب العملي في التدريس ﷺ فحين علم الوضوء علمه عمليا ، وحين علم الصلاة علمها عمليا ، وحين علم

الحج علمه عمليا ، ويشهد لذلك أقواله ﷺ وأفعاله ، فلقد ورد « أنه ﷺ توضأ كما توضأ جبريل ، وصلى كما صلى ، ثم جاءت خديجة فتوضأت كما توضأ ، وصلت كما صلى »[1] وورد عنه ﷺ أنه قال : « صلوا كما رأيتموني أصلي »[2] وقال : « خذوا عني مناسككم »[3].

ومعلم التربية الدينية الإسلامية للناطقين بغير العربية حين استخدامه هذه الطريقة لا بد من اتباع الآتي :

- تهيئة التلاميذ نفسيا لاستخدام أسلوب الممارسة العملية .
- التوضيح النظري من جانب المعلم ، أي يقوم المعلم بالشرح النظري لخطوات تنفيذ العمل .
- الأداء النموذجي من جانب المعلم مع حث المتعلمين على متابعته أثناء الأداء بدقة تامة .
- إتاحة الفرصة لأن يلاحظ المتعلمون معلمهم أثناء الأداء ملاحظة دقيقة .
- تكليف المتعلمين بممارسة العمل المطلوب تحت إشراف المعلم .
- يلاحظ المعلم الأداء ببطاقة ملاحظة ، ويحصر الأخطاء التي وقع فيها المتعلم .
- يصوب المعلم الأخطاء التي وقع فيها الفرد المتعلم ، عن طريق تكرار أداء ما تم الخطأ فيه .

سابعا : المهارات التدريسية التخصصية اللازمة لتدريس الفقه الإسلامي :

يحتاج تدريس الفقه الإسلامي كبقية فروع التربية الدينية الإسلامية إلى العديد من المهارات التدريسية التخصصية ، التي بدون إتقانها لا يمكن لمعلم التربية الإسلامية أن يستطيع تدريس الموضوعات الفقهية على أكمل وجه ، وقد

---

(١) القرطبي في تفسيره ، ١٠/ ٢١١ ، وورد في سيرة ابن هشام ٢٦٣/١ ، طبعة دار الفكر العربي .

(٢،٣) سبق تخريجه ص ٦٨ .

أسفرت دراسة قام بها الباحث عن الأداءات التدريسية التخصصية اللازمة لتدريس الفقه الإسلامي عن العديد من الأداءات التدريسية التالية :

- يوجه التلاميذ إلى قراءة الموضوع قراءة صامتة ويناقشهم فيه .
- يقسم الدرس إلى عناصر أساسية .
- يناقش التلاميذ في عناصر الدرس ليصل بهم إلى حقائقه وأفكاره .
- يستنبط الأحكام الفقهية من أدلتها .
- يثير بعض القضايا المرتبطة بكل عنصر من عناصر الدرس .
- يوضح بعض الألفاظ الاصطلاحية الصعبة المتضمنة في الدرس .
- يؤدي بعض الأعمال المرتبطة بالموضوع أداء عمليا .
- يستشهد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية على صحة الأحكام .
- يعطي أمثلة كافية ـ موجبة وسالبة ـ على مفاهيم الدرس .
- يناقش تلاميذه في كيفية الوصول إلى الأحكام الفقهية في الدرس .
- يصحح معارف التلاميذ الفقهية الخاطئة المرتبطة بالدرس .
- يكامل بين المعرفة الفقهية وفروع التربية الإسلامية الأخرى .
- يوجه أسئلة تطبيقية للتلاميذ .

ثامنا : نموذج لتدريس الفقه الإسلامي

التاريخ	المستوى	الحصة	المادة	طريقة السير في الدرس
من رجب ١٤٢٤هـ من سبتمبر ٢٠٠٢م	الثـــانى	الأولـــــى	تربية إسلامية (فقه)	**الموضوع : مبطلات الوضوء** **الأهداف السلوكية** : في نهاية هذا الدرس يتوقع منك عزيزي الطالب أن تكون قادرا على أن : ـ تذكر معنى مبطلات الوضوء . ـ تعدد مبطلات الوضوء . ـ تعطي أمثلة للأشياء التي تبطل الوضوء . ـ تصدر حكما في المسائل المتعلقة بمبطلات الوضوء. **التمهيد** : أعزائي : في يوم من الأيام أراد محمد أن يصلي العصر فقام وتوضأ قبل الأذان بنصف ساعة ، وبينما هو في انتظار الصلاة إذ به يشعر بالنوم ، فغفلت عينه فنام ، وعندما أذن المؤذن قام فأراد أن يصلي ، فهل يذهب للصلاة أم يتوضأ للصلاة مرة أخرى ، احتار محمد في هذا ، فماذا تفعل لو كنت مكانه؟ . . وبعد تلقي إجابات التلاميذ ومناقشتها أخبرهم بأن هذا متعلق بدرس اليوم ، وهو مبطلات الوضوء . **العرض :** ـ بعد استثارة اهتمام التلاميذ بوجود مشكلة ما ، أحاول مع التلاميذ تحديدها ، والمشكلة هنا تكمن في : هل النوم يبطل الوضوء أم لا؟ ـ أكلف التلاميذ بطرح حلول لهذه المشكلة ، ثم أدونها على السبورة ، وأتوقع أن تكون الحلول : ـ يصلي ولا شيء عليه .

				ـ يتوضأ مرة أخرى . ـ يسأل قبل أن يصلي . ـ أقوم بمناقشة التلاميذ في هذه الحلول المطروحة لأصل بهم إلى الحل الصواب . ـ ثم أشرع في طرح مشكلة أخرى : رجل توضأ ثم جرح ، وحان وقت الصلاة فماذا يفعل ، وهكذا أستقبل إجابات التلاميذ وأكتبها على السبورة ، ثم أناقشهم فيها للوصول إلى الحل الصواب للمشكلة . ـ ثم أطرح مشكلة أخرى تتمثل في أن رجلا توضأ ثم أخرج ريحًا دون أن يتبول أو يتبرز ، فهل عليه وضوء أم لا؟ وهكذا ننفذ ما تم تنفيذه من قبل وصولا إلى الحل الصواب . **الاستنتاج** : نستنتج مما سبق ما يلي : ـ أن مبطلات الوضوء خروج شيء من أحد السبيلين كالريح والبول والغائط ، وكذلك النوم الثقيل ، والدم . **التقويم** : س١ : ما معنى مبطلات الوضوء؟ س٢ : عدِّد مبطلات الوضوء س٣ : رجل جرح فسال الدم منه وأراد الصلاة فماذا يفعل؟ س٤ : بينما رجل ينتظر الصلاة إذ بعينيه تغفل فنام نوما خفيفا ، ثم أقيمت الصلاة ، فماذا يفعل؟ س٥ : (النوم ـ الصلاة ـ مبطل ـ مبطلات ـ من) كون من الكلمات السابقة جملة مفيدة؟ س٦ : عدِّد ثلاث كلمات جديدة اكتسبتها من درس اليوم

* * *